***المحور الأول: التـــــــسلح الدولي international Armament : المفـــــهــــــمة والتـــــــــــنظير***

**1-ضبط المفاهيم الرئيسة وحدود التعريف :**

**ينطلق التفكير في حقل العلاقات الدولية – كمجال تفاعل بين الدول – من أولوية القوة في سلوكيات الدول في سياساتها الداخلية والخارجية؛ ومرد ذلك إلى اعتبارها غذاء لها في بيئة فوضوية تفتقد للمُحَكم العالمي، مما يُحتم عليها السعي المتواصل لضمان مصدر بقاءها واستدامة سياساتها.**

**أثبتت حالات عديدة في تاريخ السياسة الدولية - منذ نشأة الدول القومية عقب معاهدة وستفاليا عام 1648 - حقيقة أساسية مفادها أن القوة العسكرية تمثل عنوانا عريضا لقوة الدولة وصورتها في محيطها الإقليمي والدولي، نظراً لاعتبارها أداة لا غنى عنها لضمان الاستقرار السياسي داخلياً، وكذا البقاء والنفوذ خارجياً، حيث دأبت الفواعل الدولية على بناء سياسات تسلحية قادرة على مواجهة بعضها البعض خلال زمني السلم والحرب.**

**1/سياسات التسلح الدولي:**

**إن سعي الدول المستمر لتحصين وجودها في البيئة الدولية عبر تطويرها للقوة العسكرية –بشتى أنواعها – يحيل إلى أنها تتحرك بدوافع أمنية متعددة، خاصة هاجس البقاء والخوف من وقوعها فريسة لعدوان الآخرين([[1]](#footnote-2))، مما يدفع للقول بأن التسلح يفسر هذه الدوافع، ويمكن تفسيره تفسيراً منطقياً من خلال اعتباره:**

**ا- ظاهرة Phenomenon:**

**عندما تتنافس الدول من أجل بناء مقدرات عسكرية منيعة بكل ما أوتي لها من قوة، وتستغل في ذلك كل ما تملكه من موارد وخبرات وأموال فإنها بذلك تخلق ظاهرة دولية – من بين عديد الظواهر المعقدة في البيئة الدولية – ولهذا يفسر أصحاب الطرح الواقعي في العلاقات الدولية ظاهرة التسلح بأنها قمة تجسيد رغبة الدول للبحث عن مصالحها الوطنية وتحدي مثيلاتها من فواعل النظام الدولي.**

**وهنا يمكن تعريف التسلح الدولي بأنه ظاهرة دولية مركبة([[2]](#footnote-3))تنبع من اعتبارات وطنية وإقليمية ودولية، كونها ترتبط بالرغبة في الحماية من التهديدات الخارجية – وعلى رأسها العدوان –**

**عندما نطلق اسم ظاهرة التسلح الخليجي ، فإننا نوحي إلى جهود دول الخليج لتطوير مقدرات وبرامج تسلحية لمواجهة مخاطر الآخرين؛ كما هو الحال بين دول مجلس التعاون الخليجي وإيران وإسرائيل، وهي بذلك ظاهرة من ظواهر التفاعل الدولي في المنطقة.**

**ب- مسار Process:**

**عندما تسعى الدول لتطوير برامج صناعة أسلحة ومعدات عسكرية متطورة عبر مراحل زمنية مختلفة، فإنها بذلك تكون قد أعدت خططاً قومية مدروسة لتحقيق أهداف عليا، بناءاً على عقيدة إستراتيجية طويلة المدى سواء لاحتواء عدو ما أم للبحث عن مصدر قوة لها اقتصادياً وسياسياً، وهنا يُشار إلى التسلح بكونه عملية دينامية Dynamic.Process ممتدة في الزمان والمكان؛ أي أنها خطوات متلاحقة لها بداية ونهاية – حسب نظرة الدولة لأهدافها –**

**ج- أداة Tool:**

**في ظل غياب سلطة فوقومية قادرة على فرض سلطة الإكراه على سلوك الفواعل الدولية وضبطها، تدرك الدول أنه لا مناص من السعي لتطوير سياسات تسلح متطورة ومستديمة في ظل الظروف العالمية المحيطة بها، بحيث يصبح واجبا عليها قياس قدراتها العسكرية مقابل ما تملكه الأطراف الأخرى في النظام الدولي، وبذلك نفهم سياسات التسلح على أساس أنها أداة لبناء القوة والاستمرار إزاء تهديدات حقيقية ومفترضة.**

**2-تفسير دينامية التسلح ضمن الصور التفسيرية في نظريات العلاقات الدولية: الدافعية والأهداف:**

**هناك تفسيرين نظريين لظاهرة التسلح الدولي على مستوى الدوافع والمطالب الخاصة بالدول:**

**الحتمية التكنولوجية:**

**تقوم على أساس اعتبار التكنولوجيا النووية في حد ذاتها متغيرا تفسيريا لسعي الدول لامتلاك أسلحة متطورة خاصة بها في البيئة الدولية، وبذلك فإن الأسلحة سيتم تطويرها واعتبارها خيارا جوهريا لدى صناع القرار والفواعل العسكرية المرتبطة بدوائر التسلح والدفاع، عندما تصبح الدول لها القدرة التكنولوجية على القيام بذلك، أي أن النضج التكنولوجي لأية دولة ضمن هذا الافتراض، لا يُستبعد أن يكون التفسير الأنسب للخيارات العسكرية للكثير من الدول. وفي هذه النقطة، يستعرض الباحث هربرت يورك Herbert York مثال الأنشطة النووية خلال فترة الحرب العالمية الثانية كتعبير عن الحتمية التكنولوجية، والتي تفسر أيضا سباق التسلح الذي أعقبها، وذلك في قوله:**

**"إن قرار تطوير أسلحة نووية لا يعتبر حظاً عند بعض الحكومات، وإنما هو حتمية تكنولوجية عامة".([[3]](#footnote-4))**

**‘The decision to develop nuclear weapons is not a fluke of certain governments, but a general technological imperative’.**

**يربط هذا الاتجاه البعد التكنولوجي لسياسة التسلح بقيمة الحداثة؛ باعتبارها مطلبا دوليا لا يقل أهمية عن مطلب الأمن والدفاع؛ فالإبداع التكنولوجي يمثل مصدرا مستقلا للتسلح من هذا المنظور، وأحسن دليل هو التطور النوعي في سياسات التسلح بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي مع نهاية الخمسينيات، والذي أفضى إلى تأثير العامل التكنولوجي على معادلة النصر في نظر قادة الدولتين؛ فبعد أن كان في نطاق القوة التدميرية، أصبح واضحا في سرعة الوصول إلى الهدف "الصواريخ الإستراتيجية العابرة للقارات"([[4]](#footnote-5))**

**تتجه النظرية الواقعية إلى تفسير ظاهرة التسلح في العلاقات الدولية ضمن منطق المفاهيم الثلاثة الخاصة بسلوك الدولة كوحدة أساسية في النظام الدولي؛ الأمن والمصلحة والقوة، فالدول تسعى لتطوير أسلحة عندما تواجه تهديد عسكري خطير لأمنها، وهذا ما تناولته النظرية الواقعية([[5]](#footnote-6)).**

**يسهل فهم ظاهرة التسلح فهماً منطقياً بتشبيه النظام الدولي بحالة الطبيعة على حد تعبير المفكر السياسي البريطاني توماس هوبز Thomas Hobbes، فهي حالة حرب الجميع ضد الجميع، وضمن هذا الوضع تكون جميع الدول قلقة بشأن البقاء، ولزيادة أمنها الأقصى لأجل البقاء، فإنها تتصرف بطريقة عقلانية وهذا يقودنا إلى الافتراض بأن النظام الدولي تحكمه قاعدة المساعدة الذاتية، بحيث تتنافس من خلاله الدول بشكل مستمر حول الأمن.**

**وفي جهودها لتأمين بقائها تكون الدول دائما غير متيقنة من نوايا الفاعلين الآخرين، مما يعني تضاؤل آفاق وفرص التعاون، نظرا لأنها محكومة بمنطق المعضلة الأمنية ([[6]](#footnote-7))Security Dilemma. ولأن الدول لا يسعها أبدا أن تتأكد من نوايا الدول الأخرى، فإنها إذا تحاول تعظيم أمنها security maximization بمحاولة كفاية نفسها ذاتيا وزيادة قوتها عسكريا.**

**ومن هنا تأتي المفرغة للأمن والقوة، بمعنى أن كل دولة تسعى لتحسين قدراتها العسكرية تحسبًا عدوان مسلح من دول أخرى، تثير تحضيراتها هذه تخوف الدول الأخرى التي تراها موجهة ضدها، لأنه يستحيل التأكد من النوايا والمقاصد الحقيقية "تحضيرات دفاعية أي دفاع عن النفس في محيط معادي أو هجومية أي قصد تغيير الوضع القائم" لهذه الدولة التي قررت تحسين قدراتها([[7]](#footnote-8)).**

**نموذج الفعل ورد الفعل Action/Reaction: يعتبر أساس التفسير الواقعي لظاهرة التسلح والسباق نحو التسلح؛ بحيث أن قيام دولة أ بزيادة ترسانتها العسكرية تراه دولة ب تهديدا لها، وبدورها تباشر بنفس الإجراء، بغية الرد على سلوك الأولى وضمان أمنها.**

**وهذا ما يبرزه التفسير التالي:**

**The basic proposition of the action-reaction model is that states strengthen their armaments because of the threats the states perceive from other states. The theory implicit in the model explains the arms dynamic as driven primarily by factors external to the state.**

**يسلم ممثل النظرية الواقعية الجديدة كينيث والتز Kenneth Waltz بأن الدول باعتبارها الوحدات الرئيسية في العلاقات الدولية، توجد في نظام دولي فوضوي، وعليها أن تعتمد على المساعدة الذاتية Self-Help لحماية سيادتها وأمنها القوميين، وتكون قادرة على ممارسة القصاص على سلوك الدول، وذلك إشارة إلى القيود الخارجية External Constraints التي تدفع الدول لامتلاك الأسلحة كاستجابة عقلانية للدول لأجل حماية مصالحها، ومادام أمنها يمثل الغاية القصوى للبقاء:**

**States coexist in a condition of anarchy. Self-help is the principle of action in an anarchic order, and the most important way in which states must help themselves is by providing for their own security. Therefore, in weighing the chances for peace, the first questions to ask are questions about the ends for which states use force and about the strategies and weapons they employ.**

**هناك حالات عديدة من سعي الدول إلى تعزيز ترساناتها العسكرية قصد شعورها بتهديدات إقليمية موجهة ضدها، على غرار إيران التي أدركت أن تهديدات العراق سابقا والولايات المتحدة وإسرائيل تعتبر عوامل مشجعة لامتلاك الرادع النووي، ويعتبر برنامجها لتطوير الصواريخ الباليستية ضمانا لها ضد أي تهديدات في المستقبل، ناهيك عن قدرته على تعزيز مكانتها الإقليمية والدولية. ([[8]](#footnote-9))**

**من خلال ما سبق، نتوصل إلى خلاصة مفادها أن جميع عمليات التسلح التي عرفتها الدول القومية منذ نشأتها تُفسر ضمن اعتبارات البقاء والقوة والأمن، كونها تجعلها تحتمي ضد أي تهديد، ماثل أو محتمل، في ظل التسليم بأولوية الاعتبارات العسكرية للأمن الدولي في العلاقات الدولية، رغم وجود من ينادي بثني الدول على زيادة صناعة الأسلحة وتوريدها وتكديسها، مبررين ذلك باقترانها بشبح الحرب إذا تصادمت المصالح الدولية، خصوصا في المناطق التي تشهد نزاعات وتوترات داخلية أو خارجية.**

1. -juliet kaarbo and James Lee Ray, Global Politics, US, Wardsworth, 2011, p271. [↑](#footnote-ref-2)
2. -Pierre de Senarclens, La Politique Internationale, Armand Colin, Paris, 1992, p23. [↑](#footnote-ref-3)
3. -Peter R. Lavoy, Nuclear Myths and the causes of Nuclear Proliferation, England, Frank Class, 1993, p194. [↑](#footnote-ref-4)
4. - جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، بيروت، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، 1985، ص 246. [↑](#footnote-ref-5)
5. - محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، بيروت، دار النهضة العربية، (د.س.ن)، ص ص 58-61. [↑](#footnote-ref-6)
6. -Karen A.Mingst, Essentials of International Relations, London, Norton and Company, 2Ed, 2003, p153. [↑](#footnote-ref-7)
7. - عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري: الجزائر، أوربا والحلف الأطلسي، الجزائر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص ص 14-15. [↑](#footnote-ref-8)
8. - سعد حقي توفيق، مرجع سابق، ص ص 159-160. [↑](#footnote-ref-9)